

سُورَةُ الْحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ
أَطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

ومن الناس - اللقاء الرابع

06 برنامج نفحة رمضانية

محاضرة في الأردن

2022-06-27

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يارب العالمين وبعد:

مقدمة:

ما زلنا نتحدث عن الآيات التي تبدأ بقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ)، تحدثنا عن نموذج المنافقين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)

سورة البقرة

وتحدثنا عن نموذج المشركين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَسَدُوا حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ

بَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ لِقْوَةَ اللَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)

سورة البقرة

وتحدثنا عن نموذج المفسدين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي لَحْيُوهُ الذُّبَابُ وَيُشْهَدُ لِلَّهِ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ لِحْصَامِ (204)

سورة البقرة

وتحدثنا عن نموذج المؤمنين الذين باعوا أنفسهم لله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْئِشُ نَفْسَهُ بِبَيْعَاءِ مَرَضَاتٍ لِلَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ (208)

سورة البقرة

هذه النماذج وردت في سورة البقرة.

التعامل مع الدين على أنه صفقة تجارية:

اليوم النموذج من سورة الحج، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ طُمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الذُّبَابُ وَالْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12) يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِن تَفَعُّهِ لِيُنْسَ لِمَوْلَىٰ وَلِيُنْسَ لِعَنِيبِز (13)

سورة الحج

هذا نموذج من الناس في كتاب الله موجود في كل زمان وفي كل مكان، (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) حرف: يعني طرف، بناء عالٍ ونهايته يوجد الحجر في الطرف، فوقف عليه الإنسان، احتمال السقوط أصبح وارداً، ربما تأتي رياح قوية فتسقطه، أو ربما يزيغ بصره فيسقط، لأنه يقف على الحرف، أما لو وقف في وسط السطح فقد أصبح في الأمان، فهناك من يعبد الله على حرف، وهناك من يدخل في العمق، لذلك قال مجاهد وغيره: حرف: أي شك، أخذوا المعنى الضمني، النتيجة أنه في شك، فلذلك يقف على حرف، لا يريد أن يدخل إلى العمق، بل يقف على حرف.

{ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَقْدُمُ الْمَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتْ امْرَأَتُهُ غُلَامًا، وَتَبَجَّتْ حَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ صَالِحٍ، وَإِنْ لَمْ تَلِدْ

امْرَأَتُهُ، وَلَمْ تُنْجِ حَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ.. }

صحيح البخاري عن سعيد بن جبير



البعض يريد تحقيق الأرباح من الدين

طبعاً هذا النموذج قد يبدو مضحكاً فيقول إنسان اليوم: أيعقل أن هناك شخصاً عبادته لله مرتبطة بأن يأتيه غلام أو لا أو تنتج خيله يعني يكثر ماله أو لا؟ هل يعقل أن هناك من يفعل ذلك؟ نعم، موجود هذا نموذج قرآني موجود، معناه أن كثيراً من الناس يتعاملون مع الدين على أنه صفقة تجارية، وتأتينا الأسئلة كل يوم بهذا الشأن حتى لا تقولون من يفعل ذلك، موجود، الدين عنده صفقة تجارية، فهل تحقق له الأرباح أو لا، فإذا كانت تحقق الأرباح يستمر، إذا لا يترك صلاته، أعرف أشخاصاً يسألون بهذا المنطق، يقول لك: عشرون سنة وأنا أصلي لله وما زلت فقيراً، ما العلاقة؟ لماذا تربط صلاتك بأنك يجب أن تكون غنياً لأنك تصلي؟ أو يقول لك: فلان من الناس ما توجه إلى القبلة في حياته، وعنده من الأموال ما لا تأكلها النيران، قارون كان عنده من الأموال ما لا تأكله النيران، فإذا المنطق والحسابات والموازنات التجارية لا ينبغي أن تدخل إلى الدين، لأنني قلت لكم سابقاً وأقولها الآن: ديننا ينطلق من مفهوم الغيب، التعامل بمفهوم الغيب، فهو عندما يأمر أن تصلي فالصلاة أجراها عند الله يوم القيامة، نعم، نعم قد يكافئ الله بعض المحسنين في الدنيا، يقول: والله كنت باراً بوالدي والله تعالى فتح عليّ من الخير ما فتحه، حالة موجودة بالتأكيد، وقد يعاقب الله بعض المسيئين في الدنيا، فنقول: انظر إلى خاتمة فلان كان يعادي الله ورسوله فانظر بم ختم الله تعالى له، مات أبتغ ميتة، أو كان غنياً فافتقر، إن الله تعالى يظهر بعض آياته في الدنيا، هذا موجود ومُشاهد، لكن هل الثواب والعقاب على الأعمال المتعلقة بالإيمان هو دينوي؟ لا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةٌ لِمَمُوتٍ ۖ وَإِنَّمَا تُؤَفَّقُونَ لِأُجُورِكُمْ يَوْمَ ۖ لَقِيْمَةٌ ۖ فَمَنْ رُزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْجِلَ لَجَنَّةً فَقَدْ فَازَ ۖ وَمَا لِحَيَاتِهِمْ لَدُنِّيَ إِلَّا
مَنْعٌ ۖ لَعْرُورٌ (185)

سورة آل عمران

وكل ما يجري في الدنيا -إن جرى- من الحساب والعقاب فهو ما يسمى: دفعة على الحساب، فيجب ألا يتعامل الإنسان مع الدين بمنطق الحسابات التجارية والصفقات لأن الدين غيب، ولأن الإيمان غيب، ولو لم يكن الإيمان غيباً لما كان هناك من فضل لمؤمن، فما معنى أن يقول إنسان: أنا مؤمن بوجود هذه الطاولة الآن هنا والجميع يراها، أنا مؤمن بشيء لا أراه، مؤمن بحساب وعقاب، لأن الله أخبرني أن هناك حساباً وعقاباً وثواباً، فالإيمان ينطلق دائماً من الغيب، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِّلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3)

سورة البقرة

أول صفة من صفات المؤمنين في سورة البقرة: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) فالإيمان بالغيب هو أساس الدين، فإذا أول فكرة في هذا اللقاء الطيب: من يعبد الله على حرف يتعامل وفق المنظومة التجارية، والله تعالى لا ينبغي أن تتعامل معه على هذا الأساس، الدين عقيدة نعتنقها، لا نتنظر خيرها في الدنيا، وإنما نتنظر أجرها في الآخرة، خيرها الدينوي أقصد، طبعاً الإنسان المؤمن سيأخذ من الخبرات في الدنيا، يكفي راحة البال يكفي سكينته النفس يكفي أنه يعرف كيف يتعامل مع أسرته، كيف يتعامل مع أهل بيته، إيجابيات لا تعد ولا تحصى لكن لا ينتظر أن يكون العقاب والثواب في الدنيا على الأعمال، وإنما هو يوم القيامة، فهؤلاء تعاملوا بهذا المنطق.

حقيقة الفتنة:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْتَدُ لِلَّهِ عَلَى حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ طَمَأَنَّ بِهِ) يعني سكن إليه ومال إليه، الأمور بخير، (وَأِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) الفتنة في الأصل هي: الابتلاء بالشر أو بالخير، قال تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام:



الفتنه هي الابتلاء بالبشر أو بالخير

فالفتنة أن تفتن الإنسان أي أن تمتحنه، وكانت العرب تقول: فتنت الذهب أي وضعته على النار حتى أعرف جوده من رديئه، فتنة، لكن هنا في الآية جاءت في مقابل الخير، فهي تعني هنا الفتنة بالبشر حصراً، لكن لو جاءت وحدها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَتَبْلُوكُم بِالسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)

فقد تكون الفتنة بالخير، وقد تكون الفتنة بالبشر، قد تكون الفتنة بمجيء المال أو بذهابه، بزوجة أو بعدم وجود زوجة، بيت، أو بعدم وجود بيت (وَتَبْلُوكُم بِالسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ) لكن هنا في الآية جاءت في مقابل الخير فاختصت بمعنى الضر، يعني فتنة الضر، أو فتنة الشر، (وَإِنْ أَصَابَتْكُمْ فِتْنَةٌ ۖ فَعَلَيْكُمْ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ) كناية عن ارتداده عن الدين وعودته إلى المعاصي والآثام لأنه لم يحطل من الدين ما كان يبرجوه من خير الدنيا، من مالٍ أو جاهٍ أو سمعةٍ، أو ..إلخ.
قال: (خَسِرَ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) خسر الدنيا لأن الفتنة التي جاءت وفيها ضر أفسدت عليه دنياه فما ربح الدنيا، وخسر الآخرة لأنه عاد إلى كفره أو إلى معاصيه وآثامه، وأعرض عن الله تعالى فخسر آخرته.

الخسران المبين:

قال تعالى: (ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) في الدنيا يوجد خسران، خسارة في الدنيا موجودة، تاجر اشترى بألف ثم كسدت البضاعة فباعها بثمانئة، خسر مئتين، هذا خسران، لو أن طالباً درس وتعب ثم تبين بعد ذلك أنه قد درس كتاباً آخر غير المقرر، خسر، لكن لو أن تاجراً اشترى بضاعة بألف وحذره تاجر متخصصون من أن هذه البضاعة كاسدة لن تباع معك، حذروه: إياك أن تفعل، لا تشتتر هذه البضاعة، بضاعة كاسدة، البضاعة فيها عيوب، وهو أصبر واشترها ثم يدل أن يبيعها بألف اضطرَّ أن يتبرع بها تبرعاً حتى فقط يحملونها عنه ويفرغ المستودع، هذا خسران مبين، لماذا مبين؟ أول شيء كبير جداً، خسر المبلغ كاملاً ما استرد شيئاً من رأس ماله، وثانياً لأنه حذّر من هذا الخسران فلم يتحدّر، حذّر فلم يستجب قيل له فلم يفعل فنقول له: هذا خسران مبين واضح لا يخفى على أحد، كيف خسرت؟ فهنا بعض أصابع الندم في هذه الخسارة لأنَّ خسارته مبين، عظيم.



كل شيء في الدنيا ينتهي

فقال تعالى: (ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) بعد أن أسلم بعد أن استقام على أمر الله جاءه شيء من عرض الدنيا الذي يزول، مهما امتد فإنه يزول، المرض ينتهي والفقر ينتهي وكل شيء يأتي في الدنيا من المصائب ينتهي، ومهما امتد به العمر فهو سنوات وينقضي، ثم هذا الرجل بعد أن عرف الحق من أجل شيء من الدنيا خسر دنياه وأخراه، فهل هناك آيين من هذا الخسران؟ أوضح من هذا الخسران؟! قال: (ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) إذا هذا هو النموذج البشري الذي يعبد الله على حرف، على شك، في الدين لا يوجد شك بالإيمان، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا عَلَّمْنَاهُ جِدْمَةَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَالشُّكْرُ لِلَّذِينَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُورَكُمْ (19)

سورة محمد

ما قال فتوقع، فشك، معاذ الله، الموضوع ليس فيه شك، ليس في ديننا ما قاله الشاعر:

لا، قولي هو الصحيح، ليس لأنه قولي، بل لأنني أعتد في اعتقادي على الخبر الصادق، على الكلام الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنا أعتد على الوحي، فهذا هو الحق، فليس في ديننا إيمان بالشك، ولا بالظن، وإنما باليقين وبالعلم القطعي، فمن يعبد الله على شك وعلى حرف يسهل أن يتنازل عن مبادئه وقيمه عند أدنى مصيبة تصيبه.

بين الحلال والحرام:

الذي يعبد الله في العمق لا يمكن أن يتنازل عن دينه، مثلاً: شاطئ نهر، والنهر يتدفق بقوة، الشاطئ له حرف زلق ومائل، وبعد ذلك يوجد تراب جاف وقاس ومستو، الذي يقف على الشاطئ الزلق المائل ممكن بأي لحظة نزل قدمه ويسقط، أما الذي يدخل في العمق صار في الأمان، من هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم:

{ **الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشْتَبِهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِزِّهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَعَ بِرَعَى حَوْلِ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.. }**

صحيح البخاري عن النعمان بن البشير

إنسان قلنا له: الغش حرام، الصدق حلال، التجارة بيع الأقمشة حلال، يتاجر بالخمور حرام (**الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ**) الله وضهما (**وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ**) هناك مساحة لأمر تشبه الحلال من جهة والحرام من جهة، قال لك أدهم: أنا أعمل في بيع مواد حلال، لكن هناك بعض الناس يستخدمونها بالحرام وأنا أجد ذلك، وكثروا صار معظم الناس يستخدمون هذه البضاعة في الحرام، هي في أصلها حلال، سأل عالماً: قال له ما دام أصل البضاعة حلالاً يع ولا شيء عليك، ذهب إلى آخر قال له: لا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَالتَّقْوَىٰ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

سورة المائدة



لا تقترب من الحرام

أنت متعاون تبعية البضاعة وهو يتصرف بها بالحرام فإن علمت أنه يستخدمها بحرام فلا تبعه، مشتبهات، بحاجة إلى نظر، لإبيح خماً ولا يبيع قماشاً (**مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**) لأن كيف وجه النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: (**فَمَنْ اتَّقَى الْمُشْتَبِهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِزِّهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَعَ بِرَعَى حَوْلِ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوقِعَهُ**) هناك منطقة ممنوع أن يدخلها الراعي، أرع بعيداً، لا، يريد أن يرعى عند السور، فممكن بأي لحظة تنقلت منه أغنامك وتدخل إلى الحمى، (**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ**) ربنا عز وجل عنده حمى، فهو الملك جل جلاله، أنت اليوم في أي بلد في العالم قصر الملك يوجد مساحة حوله لا يمكن أن تفكر أن تقربها لا بسيارتك ولا راجلاً من بعيد ترجع، ممنوع (**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى**) ربنا ملك الملوك جل جلاله، مالك الملك، جعل لنفسه حمى، ما حماه؟ (**مَحَارِمُهُ**) الحرام لا تقترب منه، إن أردت أن تقترب من الملك جل جلاله بحلاله خذ راحتك، إن كنت تريد القرب منه مناجاة وجباً وقرباً توكل على الله، لكن على الحرام هذا حمى الله، فالذي يقارب الشبهات وضع رجله على الشاطئ الزلق، يمكن أن يسقط فوراً.



الورع هو أن تدع ما لا بأس به خشية ما به بأس

فلذلك الورع: أن تدع ما لا بأس به خشية ما به بأس، الورع مرتبة عالية لا تلزم بها كل الناس في كل حين، أحياناً يكون هناك إنسان عنده مشكلة ينبغي أن تعالجها وفق معطيات الإنسان، لكن الإنسان يأخذ نفسه دائماً قدر الإمكان بالورع فإذا وجد شيئاً سيقوده إلى الحرام أو سيوقعه في الحرام أو سيهون الحرام في عينه فيجب أن يتركه، نحن اليوم مثلاً: على سبيل المثال والشيء بالشيء يُذكر، مواقع التواصل الاجتماعي التي في يدنا سهلت بطريقة أو بأخرى واستمر الإنسان بعض الأشياء التي كان يعدها من المحرمات القطعية، يعني أن يمسك بيده الريموت كونترول ويوجهه إلى الشاشة ويفتح على امرأة تظهر باللبسة فاضحة، حرام أعوذ بالله لا يجوز، هذا نظرٌ محرّم، علاقتي بالله لا أريد أن أقطعها، لا يفعلها، لكن لما يتصّحّ تظهر له من غير أن يطلبها، أنا لا أقول لا تتصفح، لكن الإنسان ينبغي أن يوطن نفسه دائماً على الأخذ بالأحوط لنفسه، كانوا يقولون: فلان حنبلي، ماسكها حنبلية (قول عوام) لماذا؟ الناس يفهمون لأن مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو أقوى المذاهب، صعب، لا، مذهب الإمام أحمد بن حنبل يعتمد على الأثر والحديث فليس فيه محرّمات إضافية عن المذاهب الأخرى أبداً، لكن الإمام أحمد بن حنبل كان دائماً يأخذ نفسه بالعزائم، مع أنه قد يفتي للأخرين بالرخص، يأتيه رجل يجد من حاله أن يُرخص له في مسألة، والله أنا متعب جداً لا أستطيع الذهاب لصلاة الجماعة فيرخص له بشيء معين، لكن لا يرخص لنفسه يأخذ نفسه بالعزيمة، اليوم هناك حالة عكسية للأسف أحياناً عند البعض يأخذ نفسه بالرخص ويفتي للناس بالعزائم، ومع نفسه يقول: بسيطة، إن جاء غيره يقول له: حرام لا يجوز، لذلك يقولون: ماسكها حنبلية، لأن الإمام أحمد بن حنبل كان معروفاً بأخذه بالعزائم، في مسألة خلق القرآن الإمام أحمد سُجن وعُذّب وكان بإمكانه أن يأخذ بالرخصة ولكنه قال أنا إمام في الدين فإذا أخذت أنا بالرخص ماذا يفعل الناس، الناس لن يأخذوا بالرخص بل سيأخذون بالمحرّمات، فوقف موقفاً شجاعاً ثبت به دين الله إلى يوم القيامة ولقي الله به.

الضلال المبين والضلال البعيد:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) بمعنى أن الإنسان حتى في موضوع الشبهات يحاول جهده أن يتعد عن الشبهات قدر الإمكان، نعم، لأن عصرنا فيه شبهات كثيرة، فيه مشبهات كثيرة، اليوم يدخل الإنسان إلى السوق بغير فقه فيأكل الربا شاء أم أبى، فالإنسان يحاول جهده أن يلقى الله وقد استبرأ لدينه وعرضه.



أي نفع في أن يعبد الإنسان غير الله؟

تتمه الآيات قال: (بَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) الأصنام: الصنم الذي عاد إلى عبادته هذا الذي عبد الله على حرف إلى أين رجع؟ رجع إلى عبادة صنمه، هو ترك دين الله من أجل صرّ أصابه فهذا الذي تعبد له لا يملك لك أصلاً ضرراً ولا نفعاً، وقيل: (بَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُ) إن ترك عبادته (وَمَا لَا يَنْفَعُهُ) إن عبده، فأى نفع في أن يعبد الإنسان غير الله، وأي ضرر يلحقه إن ترك عبادة اللات والعزى، قال: (ذَلِكَ هُوَ لَصَلِّ لَتَعْبُدَ) هناك (لَخُشْرَانٍ لَّمَّيْنِ) وهناك في القرآن ضلال مبين أيضاً في آيات أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (24)

الضلال المبين: خرجت في سيارتك من عمان إلى العقبة، على الطريق إلى العقبة، إدارة المرور كانت حكيمة جداً، فوضعت لك اللافتات من عمان إلى العقبة توضح لك طريق العقبة تماماً، بعد ثلاثمائة متر يمين لوحة أخرى لوحة مضاعة في الليل، ورغم كل هذه اللافتات التوضيحية أخذت طريقاً آخر فوجدت نفسك في مكان آخر، ضلال مبين.

الضلال البعيد: دخل في الطريق الخطأ واكتشف أنه في الطريق الخطأ بعد ثلاث ساعات، هذا ضلال بعيد.

هنا قال تعالى: **(يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ)** تحدثنا عن (من دون الله) كل ما يدعو الإنسان فهو من دون الله **(مَا لَا يَصُرُّهُ) وَمَا لَا يَنْفَعُهُ) ذَلِكَ هُوَ لِمَتَلَأُ لَتَعْبُدُوا** أخذ في الضلال بالعمق، دخل في عمق الضلال.

النتف مقابل الإثم:

الآية الثالثة: **(يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُ) أَقْرَبُ مِنْ تَفْعِيهِ) لَيْسَ لِمَوْلَى وَلَيْسَ لِعَتِيدِ)** البعض يقولون كيف قال ربنا عز وجل بالآية: **(يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَصُرُّهُ) وَمَا لَا يَنْفَعُهُ)** هنا قال: **(يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُ) أَقْرَبُ مِنْ تَفْعِيهِ)** إذا هناك ضرر وهناك نفع ولكن الضرر أكثر من النفع **(يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُ) أَقْرَبُ مِنْ تَفْعِيهِ)** أي أدنى إليك من نفعه، لأنه كما تعلمون أقرب على وزن أفعال، وأفعال نسميه باللغة العربية اسم التفضيل، واسم التفضيل يدل على أن شئين اشتركا في حكم ما وتفوق أحدهما على الآخر فيه، فنقول: فلان أشجع من فلان، فهما كلاهما عنده شيء من الشجاعة، لكن تفوق أحدهما على الآخر فنقول أشجع من فلان، فهنا **(يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُ) أَقْرَبُ مِنْ تَفْعِيهِ)** إذا هذا الذي يدعو عنده نفع وعنده ضرر ولكن الضرر أقرب من النفع، كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ق وَاللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (219)

سورة البقرة



القرآن يعلمنا الموضوعية

يعلّمنا القرآن الموضوعية، قلت له: إن هذا الأمر كله إثم، لا، فيه نفع لكن ما قيمة النفع مقابل الإثم؟ لأن العرب بالنسبة لهم يوجد منافع تجارية من الخمر، وقد يقول لك أحدهم نفع وهمي يمكن أن أرتاح قليلاً مع الخمر، نفع وهمي لكن يظنه نفعاً، لكن المنافع التجارية موجودة كانوا يعتمدون في تجارتهم على بيع الخمر، لكن الله عز وجل يقول: **(وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)** فهنا: **(يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُ) أَقْرَبُ مِنْ تَفْعِيهِ) لَيْسَ لِمَوْلَى وَلَيْسَ لِعَتِيدِ)** كيف؟ هذه الآية الثانية ليست على اللات والعزى، الأولى على اللات والعزى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَثُورَةٍ لَتَاللَّيْتَةِ لَأَخْرُجَنَّ (20)

سورة النجم

تلك لا تضره ولا تنفعه، حجراً، صنم، جالس أمامه، طبعاً لا تضره ولا تنفعه في الدنيا هذا الكلام، في الآخرة سوف تضره عبادتها، ولكن هو كصنم لا يقدم له، لا يستطيع أن يُمرضه ولا أن يشفيه، الآية الثانية ليست تكررراً للأولى، الثانية **(يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُ) أَقْرَبُ مِنْ تَفْعِيهِ)** من للعاقل، هذه طواغيت البشر وليست للأصنام، هذه للأصنام البشرية وليست للأصنام الحجرية، عندما يعبد الإنسان شخصاً من دون الله كما كان يُعبد فرعون من دون الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِن سَخَفَ قَوْمَهُ ۖ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيفِينَ (54)

سورة الزخرف

عندما يُمدح سلطان لسلطانه على كفره، أو تطيع إنساناً على ماله لماله، هذا هنا (بَدْعُوا لِمَن صَرُّهُ ۖ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ) الآية الثانية لطواغيت البشر وليست لطواغيت الحجر، فليس بين الآيتين تناقض حاشا كلام الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ لَقُرْآنًا ۖ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ۖ حُتُلًا كَثِيرًا (82)

سورة النساء

النفع والضر بين الدنيا والآخرة:

(بَدْعُوا لِمَن) من البشر (صَرُّهُ ۖ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ) هذا الطاغية له نفع، إذا كان هذا القوي قد أحبته وتقررت منه قد يعطيك منصباً في الدنيا لا تحلم به بخبراتك وشهادتك وقد يهبك مالاً، وقد يعطيك بيتاً وسيارة ومزرعة يوجد نفع لكن (صَرُّهُ ۖ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ) إليك لأن كل ما أعطاك سيوزل وسيبقى الضرر إلى يوم القيامة، ثم الحساب والعذاب والعياد بالله، فأيهما أدنى إليك وأقرب إليك؟ نفعه أم ضره؟ قد يقول قائل: والله النفع لأن النفع أخذه، بينما الضر ما زال محيته بعيداً، لا، الضر أقرب من النفع، لأنه أعظم بكثير من النفع ولأنه سينسبك كل المنافع لأن المؤمن إذا رأى نعيم الآخرة وقد ذاق في الدنيا ما ذاقه يقول: لم أَرُ شِراً قط، والكافر إذا غمَس غمسة في النار وكان قد عاش في كل نعيم الدنيا يقول: لم أَرُ خيراً قط، (بَدْعُوا لِمَن صَرُّهُ ۖ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ) ۖ لِيُنْسِنَ ۖ لِمَوْلَىٰ ۖ وَلِيُنْسِنَ ۖ لِعَنِيْبِيْزٍ) بنس أي ساء، نعم: فعل مدح، فعل جامد لإنشاء المدح: نَعِمَ، نَعَمَ الرجل عمر، يَنْسِنُ الرجل سيئ الأخلاق، فينس للذم ونعم للمدح (لِيُنْسِنَ ۖ لِمَوْلَىٰ ۖ وَلِيُنْسِنَ ۖ لِعَنِيْبِيْزٍ) ما الفرق بين المولى والعشير؟

المولى: تصاحبه وتواليه من أجل أن يكشف عنك الضر أو يلحق بك خيراً، فتواليه، مصلحتك معه.

العشير: قد يكون ضعيفاً مثلك، لكن تعاشره من أجل السهرة مباء، يؤنسك، أعنده فرح لهمك؟ لا، أعنده مال يعطيك؟ لا، لكن يجلس معك ويؤنسك فهو عشير، فالعشير للأئس، والمولى للنصرة والمساعدة، فقال: (لِيُنْسِنَ ۖ لِمَوْلَىٰ ۖ وَلِيُنْسِنَ ۖ لِعَنِيْبِيْزٍ) لا هو نافع لدفع ضر، أو جلب خير، ولا هو نافع لمؤانسة.

والحمد لله رب العالمين